

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[429] الوقوف أمام الأهواء والدوافع النفسية والنوازع الدنيوية التي تستعر في قلب الإنسان وباطنه، وقد تستعر نيرانها إلى درجة أن تتحول إلى اعصار يدمر جميع عناصر الخير في الإنسان، ويتلف ما لديه من الإيمان والتقوى والطهارة والصدق والصفاء وأمثال ذلك. والمقصود من الصبر على المصيبة هو أن يتحلى الإنسان بالصبر في حياته مقابل الحوادث المؤلمة من قبيل فقد الأحبة، الخسارة المالية الكبيرة، وقوع شخصيته وسمعته الاجتماعية في الخطر، وقوع الإنسان في مخالب المرض العسير والمؤلم، والابتلاء برفاق السوء أو الشريك الخائن أو الحكومة الطالمة وأحياناً الزوج والزوجة الفاسدة وأمثال ذلك. وقد أورد علماء الأخلاق هذا التقسيم للصبر اقتباساً من الروايات الشريفة كما ورد في الحديث الشريف النبوي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: "الصَّابِرُ ثَلَاثَةٌ، صَابِرٌ عَلَى الْمُصِيبَةِ وَصَابِرٌ عَلَى الطَّاعَةِ وَصَابِرٌ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، فَمَنْ صَابَرَ عَلَى الْمُصِيبَةِ حَتَّى يَرُدَّهَا بِحُسْنٍ عَزَائِهَا، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ثَلَاثَ مِائَةِ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ إِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَمَنْ صَابَرَ عَلَى الطَّاعَةِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ سِتِّ مِائَةِ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ إِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ تَخُومِ الْأَرْضِ إِلَى الْعَرَشِ وَمَنْ صَابَرَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ تِسْعَ مِائَةِ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ إِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ تَخُومِ الْأَرْضِ إِلَى مُنْذَرَتَيْ الْعَرَشِ" (1). ويستفاد من عبارات هذا الحديث الشريف الصبر على المعصية أهم من الجميع، ثم الصبر على الطاعة، ثم الصبر على المصيبة الذي يأتي في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية والثواب. ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث آخر بعد أن يقسم الإيمان إلى أربع "الصَّابِرُ مِنْهَا عَلَى الرَّبِّ شُعَبٌ، عَلَى الشَّوْقِ وَالشَّغْفِ وَالزُّهْدِ وَالْتَّوَقُّبِ" (2). ومع قليل من التأمل يتضح أن هدف الإمام (عليه السلام) من هذا البيان هو شرح دوافع الصبر والاستقامة لا فروعه وأغصانه، وهو مثل ما تقدّم من الحديث النبوي الشريف، 1. بحار الأنوار، ج 68، ص 77، في أصول الكافي، ج 2، ص 91 بهذا المعنى. 2. نهج البلاغة، الكلمات القصار، ح 31.